ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

طبيعة النظام العربي من منظور مهدي عامل
"قراءة في فكر مهدي عامل (من خلال مصادره)

بوشنافة سحابة [1]	جامعة سعيدة / الجزائر

الإرسال: 2021/08/29 القبول: 2021/09/13 النشر: 2021/09/15

ملخص

يعد مهدي عامل من المفكرين البارزين الذين حللوا المجتمعات العربية وخاصة المجتمع اللبناني الذي كان يعيش أوضاعا متدنية ،فحاول "مهدي عامل" أن يشرح الوضع التاريخي لأزمة حركة التحرر العربي وبالأخص الحركة الشيوعية العربية، باحثا عن الهزائم الكثيرة والانتصارات القليلة لهذه الحركة، فنقل دراسته هذه من حقل التجريد إلى حقل التجديد وأسقطها في حقل اختباري رائع، وهو مسقط رأسه " لبنان " لمعرفة تناقضات هذه الحركة في الحرب عامة وفي لبنان خاصة لهذا نجده ينادي بمجموعة حلول منها مجابهة الواقع الاجتماعي في حركة تطوره التاريخي وتغيراته ومحاولة تفسير العالم وتاريخه تفسيرا علميا، والاداة في دلك هي القوى الاجتماعية التي يجب ان تلتزم بالوعي وتناضل من أجل القضاء على الجهل والتبعية. والهدف من خلال هده الدراسة هو حل إشكالية الازمة في المجتمع اللبناني والغاية هي معرفة أسباب التخلف التي يعيشها المجتمع العربي و الوقوف على جملة الحلول التي يكون من خلالها هدا المجتمع سليما في بنيته واعيا في تفكيره ومستقلا في كيانه، واتبعنا منهجا تحليليا ووصفيا للأوضاع المعاشة في المجتمع العربي ومنهجا نقديا لها لمعاينة الحلول التي قد تتبناها هذه الشعوب العربية التي تعيش البؤس والاستغلال.

كلمات مفتاحية:

التبعية،التخلف، المجتمع العربي،لبنان، الشيوعية، الوعي الجماهيري

[1] أستاذة محاضرة بجامعة سعيدة. Bouchenafa201@hotmail.com.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

مقدمة:

يرتبط المجتمع العربي المعاصر بحركة التحرر العربي من جهة، ومن جهة أخرى بالتبعية للبرجوازية الكولونيالية. ولم تبق هذه التبعية في حدودها الأولى بل تطورت الى علاقة تبعية لسوق الرأسمالية ونتج عنها عجز مستمر في حل المسائل الاجتماعية والوطنية. وتفاقم الأزمات بمختلف أصعدتها انتقل حتى الى الاوساط البرجوازية مما جعل هذه الاخيرة تشعر بالخطر على مصالحها وفي المقابل شهد الوضع الاجتماعي تحركا واسع النطاق تقوده الطبقة العاملة بتنظيماتها النقابية إضافة إلى مجموعة من المفكرين الذين حاولوا تحليل الأوضاع وما آلت اليها في المجتمع العربي. ومنه يمكننا طرح الاشكالية التالية :**كيف حلّل المفكر مهدي عامل الاوضاع الاجتماعية والأزمات التي عاشها ولازال يعيشها المجتمع العربي؟ وماهي جملة الحلول التي يقترحها المفكر الثائر للخروج من أزمة التبعيات البرجوازية ؟**

مهدي عامل السيرة الذاتية والمسيرة الفكرية:

هو حسن حمدان من مواليد 1936، يعود منبته العائلي إلى حاروف وهي قرية من قرى جبل عامل في جنوب لبنان.

- عام 1955 أنهى مرحلة التعليم الثانوي، وفي عام 1956 سافر إلى مدينة ليون لمتابعة دراسته الجامعية خلال 7 سنوات تقريبا، متقنا بذلك اللغة الفرنسية في الفكر والفلسفة والتاريخ والأدب، كما في علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجية والفينومولوجيا والمنطق...
- عام 1963 وبعد نيله شهادة الليسانس وخلال متابعة عمله على أطروحة الدكتوراه سافر إلى الجزائر، درّس في دار المعلمين بمدينة قسنطينة لمدة 4 سنوات، وله مقالات في مجلة ريفولوسيون أفريكان الصادرة في الجزائر.
- عام 1967 نال شهادة الدكتوراه وعاد إلى وطنه.
- عام 1968 باشر العمل في ثانوية صيدا للبنات لتدريس مادة الفلسفة وبقي في عمله هذا حتى عام 1976.

مؤلّفاته:

- أصدر مهدي عامل عام1972 كتابه الأول "مقدمات نظرية لدراسة اثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني". وقسّمه إلى قسمين: القسم الأول "في التناقض" والقسم الثاني "في نمط الانتاج الكولونيالي" الذي صدر عام 1976. وتكمن اهمية هذا الكتاب في ان مهدي بحث فيه في مجال جديد في الفكر الماركسي،وهناك جزء ثالث من الكتاب بعنوان "في تمرحل التاريخ" و الذى استشهد قبل أن يكمله.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

- في عام1973، صدر كتابه "ازمة الحضارة العربية ام ازمة البرجوازيات العربية"، وفيه انتقد اعمال الندوة الفكرية التي عقدت في الكويت تحت عنوان أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي

- مع اندلاع الحرب الأهلية في لبنان في عام1979، صدر كتابه "النظرية في الممارسة السياسية، بحث في اسباب الحرب الاهلية في لبنان"

- و في عام1980، صدر كتابه "مدخل إلى نقض الفكر الطائفي-القضية الفلسطينية في ايديولوجية البرجوازيةاللبنانية"، عرض فيه المفاهيم الاساسية التي تكوّن ايديولوجية البرجوازية اللبنانية، وانتقدها من موقع نقيض لها، هو موقع الطبقة العاملة، مظهرًا بنقده البعد السياسي الذي تغيّبه ايديولوجية البرجوازية في نظرتها إلى القضية الفلسطينية.

- في عام 1984 صدر ديوانه شعره الثاني "فضاء النون" تحت اسم هلال بن زيتون. وفي عام 1985 صدر كتابه "في علمية الفكر الخلدوني" وهو عبارة عن تمرين، بحسب قوله، لقراءة نص تراثي بفكر مادي علمي. وفي العام نفسه صدر له ايضًا كتاب بعنوان"هل القلب للشرق والعقل للغرب-ماركس في استشراق ادوارد سعيد" الوارد في كتاب "الاستشراق" في "ماركس وعلاقته بالفكر الاستشراقي وبالشرق الاسيوي".

- في عام 1986 صدر كتابه "في الدولة الطائفية" الذي حلل فيه طبيعة النظام السياسي-الطائفي القائم في لبنان، بهدف كشف الصراع الطبقي الذي تحجبه الايديولوجية الطائفية بمظهر طائفي، لتؤيد الانتماء للطائفة لا للوطن، لتأييد النظام السياسي-الطائفي واعادة انتاجه.

- بعد استشهاد مهدي عامل جُمعت مقالاته وكتاباته التربوية والتعليمية التي كتبها من 1968 _الى 1973ونُشرت في عام 1991 في كتاب بعنوان" في قضايا التربية والسياسة التعليمية"، حلل فيها الآلية السياسية التعليمية للدولة، في لبنان، التي تعمل من خلالها على ضرب التعليم الرسمي وتعميق الانتماء الطائفي لاعادة انتاج النظام السياسي-الطبقي-الطائفي." **مهدي عامل ويكيديا الموسوعة الحرة يطلع عليه عبر**. https://ar.wikipedia.org/

أزمة حركة التحرر العربي :

لقد حاول مهدي عامل أن يشرح الوضع التاريخي لأزمة حركة التحرر العربي وبالأخص الحركة الشيوعية العربية، باحثا عن الهزائم الكثيرة والانتصارات القليلة لهذه الحركة، فنقل دراسته هذه من حقل التجريد إلى حقل التحديد وأسقطها في حقل اختباري رائع، وهو مسقط رأسه " لبنان " لمعرفة تناقضات هذه الحركة في الحرب عامة وفي لبنان خاصة.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

انفجرت الحرب في لبنان من جراء عدة أسباب منها بنية المجتمع أو الدولة اللبنانية على الشكل الطائفي والسياسي الذي منع تحقيقها كدولة رأسمالية حقيقية، والسبب الآخر هو البرجوازية اللبنانية بأوسطها الكبرى، فهذه الطبقة مرتبطة بالإمبريالية، بعلاقة تبعية بنيوية، وكان من فائدتها مساندة الحرب الأهلية من أجل انقاض نظامها السياسي في أزمته الطاحنة التي فقد فيها وبسببها القدرة على تأمين استمرار سيطرتها الطبقية في مواجهة تصاعد حدة الصراع الطبقي، وتعاظم موجة التحرك الوطني والشيعي في لبنان.

فهذه الأسباب فجرت تناقضات لبنانية وعربية معقدة، وهذا التناقض ساهم في تصاعد الحركة الجماهيرية في لبنان، وانتقال الطبقة العاملة وحلفائها إلى حدود الاستقلال السياسي والأيديولوجي، الأمر الذي هدد بتحولات اجتماعية خطيرة. فالطابع الاجتماعي"الطبقي هو الذي يحدّد البنية الفكرية"(مهدي عامل،1989، أزمة الحضارة العربية أو أزمة البرجوازيات،العربيةص17)

أما عن الجانب العربي فقط، بتحرك حركة التحرر العربي، والتبعية المستمرة للبرجوازية الكولونيالية للساسة الإمبريالية، ولم تبقى هذه التبعية في حدود التبعية بل تطورت إلى علاقة تبعية بنيوية مع السوق الرأسمالية ونتج عن هذه التبعية عجز مستمر في حل المسائل الاجتماعية والوطنية، والأسباب الجذرية لهذا العجز هو كونه عجز بنيوي تاريخي، وقع في مأزق تاريخي، ولم يدع البلدان العربية أن تنتقل إلى نمط رأسمالي مستقل، ولم تستطع كذلك أن نتبع طريق اشتراكي محدد، بحيث نجد الأنظمة العربية وانتقالها من البرجوازية التقليدية إلى البرجوازية الصغيرة لم ينتج عنه سوى استبدال طبقي في نمط الإنتاج الكولونيالي نفسه الذي يحكم حركة البرجوازيات العربية، وهذه الأخيرة لم تستطيع رغم تجددها أن تعبر عن مصالح الشعوب العربية، مما جعلها تلتفت إلى الإمبريالية كي تقود صراعها الأساسي ضد الطبقة العاملة العربية والوقوف ضد الطموحات الاجتماعية والوطنية.

إن تفاقم الأزمات الاجتماعية والاقتصادية في البلدان العربية لم يمس الكادحين وصغار المنتجين فقط، بل في الأوساط البرجوازية أيضا مما جعل هذه الأخيرة تحس بالخطر الذي يهدد مصالحها، فبدأت بالعمل على إيقافها والمحافظة على المصالح العامة للنظام الرأسمالي، وأهملوا جانب المعالجة وذلك بتحديد الأسباب الحقيقية والمبادرة على مواجهتها، وبمقابل ذلك شهد الوضع الاجتماعي تحركا واسع النطاق، تقوده الطبقة العاملة بتنظيماتها النقابية،(مهدي عامل المرجع السابق، ص20) إضافة إلى جماهير العمال والكادحين والفئات الوسطى التي انهارت اقتصاديا تحت ضغط الأزمة

إن مهدي عامل بصفته ماركسي عربي يعيش في مجتمع مختلف أو مجتمع كولونيالي كما يقول، مجتمع يختلف عن المجتمعات الإمبريالية من حيث طبقة قواها المنتجة، من علاقاتها

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الإنتاجية، من حيث الصراع الطبقي القائم، ومن حيث بناها الفكرية، رأى في الفكر الماركسي المنفذ أو المخرج الوحيد لإخراج الأمة العربية من تخلفها وذلك بإنتاج معرفة نظرية، فالعمل الحقيقي الذي يقوم به هذا الفكر في نظره هو مجابهة الواقع الاجتماعي في حركة تطوره التاريخي وتغيراته، ومحاولة تفسير العالم وتاريخه تفسيرا علميا، والأداة التي يمكنها تحريك هذا الفكر هي القوى الاجتماعية التي بمقدورها أن تجعله فكرا مناضلا أو لا يكون.

إن العلاقة الموجودة بين النظرية الماركسية والحركة الثورية هي علاقة التمام، بحيث لا يمكن أن تكون هناك نظرية علمية محضة بدونهما، فنجاح الحركة الثورية لا يتم إلا باستنادها على قاعدة نظرية، وابتعادها عن التلقائية، والمغامرة بالثورة، فلينين يقول : " لا حركة ثورية بلا نظرية ثورية " ومهدي عامل يقول : " والنظرية الماركسية ثورية، ليس وحسب نظرية الثورة ما تعنيه الثورة هذه من انتقال ضروري من الرأسمالية إلى الاشتراكية، بل لأنها أيضا وبالدرجة الأولى علمية، أي لأنها علم التاريخ في حركة انتقاله هذه(مهدي عامل،1980، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني ص05)

إن النظام الرأسمالي هو نظام عالمي، تهمن فيه الإمبريالية هيمنة كلية، والعالم العربي كغيره من بلدان العالم يعيش تحت هذه الهيمنة التي أثقلت كاهله، فحاولت هذه البلدان الإفلات من هذه القوانين الكونية التي تحكم حركة المعاصر، وذلك عن طريق حركات التحرر الوطنية التي في جوهرها حركة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

لقد جاء الفكر الماركسي في البلدان العربية على رأي مهدي عامل من أجل تامين الشروط الضرورية لتحقيق صيرورة الاستمرارية التاريخية لهذه الشعوب، وذلك بإنتاج لمعرفة العلمية، وارتباطها بالحركة الثورية. ونوع هذه المعرفة يتحدد بأدوات إنتاجها كما يسميها مهدي عامل، وهذه الأدوات هي المفاهيم النظرية للماركسية ضمن هذا المنطلق يمكننا فهم واقعنا التاريخي الراهن.

لقد حاول مهدي عامل أن يحدد الاختلاف أو التناقض القائم بين الثورة البرجوازية والثورة البروليتارية أي بين السلطة الطبقية البرجوازية التي تهدف إلى تأييد سيطرتها الطبقية وإلغاء نفسها كطبقة، مسيطرة والانتقال بالمجتمع إلى الشيوعية في ضوء هذا التناقض تحدد أو ولد مفهوم نمط الإنتاج الكولونيالي الذي يحدد وظيفته في توضيح الاختلاف البنيوي بين هاذين الطرفين وتحديد العلاقة بينهما.

لقد جعل مهدي عامل من الواقع موضوع معرفة، وذلك ليحدد لنا علاقة الفكر بالواقع، وليكشف لنا أن هذه العلاقة ليست ذاتية أو فردية، بل هي علاقة بنيوية (البنية الفكرية والبيئة الإيديولوجية)، بحيث أن نشاط الفكر في إنتاج المعرفة واستكشاف الواقع، ليس من

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

فعل الفرد بل من فعل البنية الفكرية التي يتطور فيها، بحيث يتحرك الأفراد في هذه العلاقة وفق تطور البنية ومنطقها سواء على صعيد الواقع الاجتماعي التاريخي او على صعيد الفكر، وليس وفق إرادتهم الذاتية، وحين يخرج الفكر عن البنية الفكرية التي يتطور فيها فهو يخرج ويستقل عن الواقع الاجتماعي، وهكذا لا يؤثر في الواقع لا من قريب ولا من بعيد.

أما عن البنية الأيديولوجية فهي في نظره : " هي أعم وأشمل من البنية الفكرية وذلك لأن البنية الأيديولوجية تضم إلى جانب البنايات الفكرية كالماركسية والتجريبية والمثالية .الخ، مختلف أشكال إيديولوجية للوعي اجتماعي كالأكال الحقوقية والفنية والدينة الخ (مهدي عامل ،نفس المصدر السابق،1980) .

ويؤكد لنا الطابع الاجتماعي الطبقي للبنية الفكرية، ويجعل من البنية الفكرية إطارات للتحديد الوعي الأيديولوجي الخاص بطبقة اجتماعية معينة، إذ الصاع بين الإيديولوجيات هو صراع بين بنيات فكرية وهو شكل من أشكال الصراع الطبقي، فعلاقة الفكر الواقع لا تحدد إلا من خلال علاقة البنية الإيديولوجية ببقية المستويات البنيوية في البنية الاجتماعية. التناقض السياسي، في شكله التاريخي المحدد، وليد التناقض الاقتصادي في علاقة القوى المنتجة بعلاقات الإنتاج القائمة.إلا أننا لسنا في معرض البحث في تعقد البناء الاجتماعي، بل في تعقد التطور الاجتماعي، أي إن البحث ليس في علاقة التحدد في البناء الاجتماعي، بل في علاقة السيطرة في تطور البنية الاجتماعية

والصراع الطبقي هو القوة المحركة لهذا التطور. معنى هذا أن السيطرة في تطور التناقضات الاجتماعية تعود دوما إلى التناقض السياسي في شكله التاريخي المحدد بالتناقض الاقتصادي، أي في تحركه داخل إطار التناقض الاقتصادي المحدد في " البناء الفوقي(مهدي عامل 1980، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الإشتراكي في حركة التحرر الوطني،ص30) بحيث أنّ مهدي عامل يجعل الممارسة السياسية قادرة على تحويل المجتمع ثوريا، فيرها في النظرية الثورية، التي هي في ثوريتها نظرية علمية، لكن علميتها شرط ضروري من جانب وشرط غير كاف من جانب آخر، بحيث هذه النظرية العلمية تبقى عاجزة إذا لم تتحول إلى جزء من وعي الجماهير التي تمارس العمل السياسي ... : " إن من منطق الفكر الثوري ألا يمارس فعله في حركة الواقع الاجتماعي إلا إذ تجسد في ممارسة سياسية واعية لمسارها الثوري، وكان على هذا الفكر أن ينزاح عن مستواه البنيوي الإيديولوجي، ويمر إلى مستوى السياسي كي يكون له أثر فعال في هذه البنية أي لا يكون قوة فاعلة ف حركة تطورها التاريخي(مهدي عامل نفس المرجع السابق،ص36).

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

فمن ضروريات التاريخ أن تتخذ حركة الانتقال من المستوى الإيديولوجي إلى السياسي طابعا قانونيا أو ضروريا، فتطور الفكر عاملا أساسيا في العملية التاريخية وعلى الفكر أن يمارس دوره في تحقيق هذه الضرورة وفي هذا الصدد يقول : " فصراع الطبقات في بنية اجتماعية محددة هو القوة المحركة للتاريخ، أي القوة السياسية التي تدفعه إلى تحقيق قفزاته الضرورية، فقفزة التاريخ الثورية في انتقال البنية الاجتماعية من نظام إنتاج إلى نظام إنتاج آخر لا تتحقق آليا بفعل منطقه وحده، وإن كانت في منطقة بالذات ضرورة ونتاجا لتطوره الموضوعي. إن التاريخ معزل عن القوة الاجتماعية الثورية وعن ممارستها السياسية عاجز أن يحقق منطقه، حين يصل ف تطوره إلى ضرورة القفزة البنيوية أي إلى ضرورة الثورة كشرط لتحريره(مهدي عامل1980، مقدمات نظرية لدراسة الفكر الاشتراكي ص33.)

فهنا يرى أن كل شيء يتحقق في التاريخ على نحو ضروري، أي الضرورة هي التي تفسر لنا انتقال مجتمع إلى مجتمع آخر، وانتقال ببنية اجتماعية إلى بنية أخرى ويرى كذلك أن دور الفكر في تحقيق هذه الضرورة على نحو ضروري، فالثورة بوصفها أسلوب الانتقال من نظام معين إلى نظام آخر هي في الأصل ضرورة ونتاجا لتصور التاريخ الموضوعي.

لقد أعاد مهدي عامل إنتاج بعض المفاهيم الماركسية، وذلك من أجل معرفة منطق حركة التاريخ في البنية الكولونيالية لمجتمعاتنا العربية، وتعتبر هذه المفاهيم أداة أو وسيلة استخدمها من أجل تحديد معالم نظريته لكل القضايا التي تناولها : كقضية الاستعمار والتخلف، قضية الحضارة، قضية الطائفية، قضية الطبقة المتوسطة إلى قضية البرجوازية الصغيرة ...الخ، فمهدي عامل على حد تعبير أحد زملائه لم يتخذ من الفكر الماركسي ليكون نقطة البداية بل أراد أن يجعل من واقعنا المتخلف نقطة بدائية، ومن بين هذه المفاهيم أو الأدوات النظرية التي تناولها ، نجد:

مفهوم **البنية**، مفهوم **القطع البنيوي**، مفهوم **الواقع النظري**، مفهوم **الحركة الابناذية والحركة الانجذاتية** للصراع الطبقي، مفهوم **التفاوت البنيوي**، ومفهوم **التفاوت التطوري**

ومن أجل فهم هذه المفاهيم حدد لنا مهدي عامل ثلاثة أزمنة للبنية الاجتماعية وهي :

1-زمان تكون البنية الاجتماعية : هو زمان انتقال البنية من نظام إنتاج إلى نظام إنتاج آخر.

2-زمان تطور البنية الاجتماعية : هو زمان البنية البنيوية وينصف هذا الزمان بالدائرية والتكرارية.

3-زمان القطع : وهو زمان الذي تكسر فيه البنية الاجتماعية إطارها البنيوي وتدخل في قفزتها البنيوية.(مهدي عامل 1989، أزمة الحضارة العربية أو أزمة البرجوازيات،العربية،ص55)

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

إن البنية في نظرية مهدي عامل هي الإطار المسيطر، والقوة الفعالة لكل شيء، فبدونها لا يمكن تفسير أي علاقة بنيوية، فهي العلاقة المحدودة والمسيطرة والمهيمنة والمؤثرة والفعالة على تنوع أشكالها ومستوياتها وهي بنية العلاقات الاجتماعية التي تحكمها تناقضات مختلفة ومتفاوتة.

فالواقع العربي أو البلدان المستعمر المتخلفة ببنيتها الإنتاجية تحكمها تبعيتها للبيئة الإمبريالية الرأسمالية العالمية مهدي عامل 1980،مدخل الى نقض الفكر الطائفي ، ص38،فرغم الاختلاف بين هاتين البنيتين أي البنية العربية المتخلفة التابعة والبنية الرأسمالية الإمبريالية، فهناك وحدة بنيوية واحدة العلاقة بينهما وهي بنية تناقضية بين نمط الإنتاج الرأسمالي وبين نمط الإنتاج في البلاد المتخلفة، فبين هذا الاختلاف والتناقض تبرز الطبقة البرجوازية الكولوينالية وهي الممثلة للرأسمالية الإمبريالية، كما تبرز الطبقة العاملة وهي النقيض وتبرز بينهما البرجوازية الصغيرة التي مكنها أن تنجح وتصبح قوة مسيطرة في السلطة بتدعيم من البنية الكولوينالية التي تفرض عليها أن تكون برجوازية كولوينالية متجددة.

وهنا نستنتج أن البنية هي بنية علاقات اجتماعية تحكمها تناقضات مختلفة ومتفاوتة، وفي هذا الصدد أكد لنا مهدي عامل على زمان القطع وكان من وراء هذا القطع هو انتقال لجذري من بنية علاقة إنتاج معينة إلى بنية علاقات إنتاج أخرى فيقول : " حركة التاريخ ليست استمرار أو تواصلا أو تتبعا بل هي حركة تقطع تترابط فيها أنماط الإنتاج في قفزاتها البنيوية من نمط إلى آخر بشكل يستحيل فيه قراءة نمط الإنتاج الرأسمالي مثلا في بنية نمط الإنتاج الإقطاعي أو الاستبدادي أو الانطلاق منه. العلاقة بين هذين النمطين ليست علاقة استمرار يتولد فيها الأول من الثاني بل هي علاقة قطع بنيوي البنيتين(مهدي عامل 1989المرجع السابق،ص60). وبهذا فهو رفض الكثير من المقولات والفرضيات التي ترسخت في ثقاقتنا العربية الحديثة عن الماضي والحاضر، الغرب والشرق، العقل والقلب، كاشفاً وراء هذه الثنائيات المثالية للفكر البرجوازي، حقيقة الصراع الفكري، الطبقي، الكامن في الواقع، كما رفض الواقع الظاهري التجريبي الذي يحجب حقيقة العلاقات الاجتماعية ويخدم في النهاية مصلحة الطبقات السائدhttps://hadfnews.ps/post/73710/%D الإثنين 19 أكتوبر 2020 | 02:23

الصراع ضد الاستعمار

لقد أنتج مهدي عامل هذه المفاهيم بعد دراسة مطولة في البنية الاجتماعية لبلداننا العربية، والصراع الطبقي فيها، من أجل التميز بين التناقض الرئيسي المسيطر وهو التناقض السياسي، والتناقض الذي يحكم البنية الاجتماعية الكولونيالية وتحدد في تعمق الوعي في حركة النضال التحرري ضد الاستعمار مما جعلها تعي بعض التناقضات الداخلية في المجتمع ومن هنا قامت

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

هذه الحركات القومية التحررية برد فعل التحدي الخارجي ورد فعل التحدي الداخلي معا، أي من خلا ل الصراع ضد الاستعمار وهو الصراع الخارجي اكتشفت الجماهير الشعبية التحدي الداخلي، أي ارتباط طبقات محلية ارتباطا تبعيا بالاستعمار، فباتت حركة التحرر العربية تقاتل على جهتين : جبهة التناقض مع القوى الاستعمارية، وجبهة التناقض مع القوى المحلية المرتبطة مصالح الرأسمالية العالمية، لقد عمدت هذه الحركات القومية التحررية على تحقيق محتواها الذي يتخلص ف هزيمة الإمبريالية والتخلف، وعن قيام الوحدة القومية، وعن إقامة مجتمع بنيوي غير طبقي تسود المساواة والتكافؤ وتتاح فيه الفرص للإنسان لاستعمال كل طاقاته ومواهبه وتنميتها، وتمحي في الاستعباد والاستغلال، وكان هذا بعد أن تأكدت (هذه الحركات) أن القضية الرئيسية التي تواجه المجتمعات العربية هي قضية التحرر من السيطرة الإمبريالية أي من علاقة التبعية البنيوية التي تربطها بالإمبريالية وأن الأزمة التي تقف في طريق تطور هذا المجتمع هي أزمة الإنتاج المسيطر في واقعنا الإنتاجي وأزمة الطبقة المسيطرة فيه وأزمة سيطرتها الطبقية.

لقد بحث مهدي عامل في أزمة الهيمنة الطبقية ورأى أنها أزمة السيطرة الطبقية ولقد نتجت هذه الأزمة عن طريق التناقض الرئيسي الموجود بين الطبقة المسيطرة والطبقة النقيض، بحيث رأى أن الحكة المحورية في هذا الصراع الطبقي (بين الطبقة المسيطرة والطبقة النقيض) هي حركة اتنباذية في الزمان البنيوي وانجذابية في زمان القطع، فالطبقة المسيطرة تقوم عملية انتباذ، أي أنها تحاول الخلط بين المستويات البنيوية وهذا الخلط يؤدي إلى فهم الصراع الاقتصادي على أنه صراع الاقتصادي على أنه صراع سياسي ولقد سماها مهدي عامل " بالإصلاحية المغامرة " ووراء كل هذا تغيب الممارسة السياسية الحقيقية للصراع الطبقي، فهذه العملية هي عملية إزاحة أو انتباذ تقوم به الطبقة المسيطرة.

وفي وسط هذا الخلط الذي تقوم به الطبقة المسيطرة يظهر فعل النضال التحرري، في تحويل هذه الحركة من الانتباذية إلى الانجذابية، وهاذ التحويل هو كفيل بكسر البنيوية التي هي من طبقة الفكر البرجوازي الصغير، ولا يتم ذلك إلا بعد انصهار كل التناقضات في التناقض السياسي.

لقد ألح مهدي عامل على كشف بنية المستويات التي يراها بنية تناقضات طبقية، وعلى الباحث تجرد هذه التناقضات من حبكتها التاريخية كضرورة معرفية، ولقد حدد في كتاباته الحلول المناسبة وعمل حركات النضال لتقلص من هذه التناقضات ومعرفة حقيقتها،

الحلول لكسر التناقضات الطبقية

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

عمد مهدي عامل الى ابراز نوع من الاشعاع الفكري الثوري لكسر التناقضات التي تنخر المجتمع العربي وتجعله هشا هرما وتوصل الى هذه الحلول النسبية والتي تتمثل وتتمثل **فيما يلي** :

- نقل التناقضات من ثباتها البنيوي إلى مستوى الصراع الطبقي؛ حيث هو الذي يضمن تحديد التناقض الرئيس والثانوي.
- التحذير من الاقتصادية والإرادية في فهم التاريخ ومحاربة الانتهازية.
- التناقض الأساسي الاقتصادي هو التناقض المحدد.
- التناقض السياسي هو التناقض المسيطر وله مظهر رئيس ينتقل بين مستويات البنية الاجتماعية تبعا مظاهر وجوده التاريخي.
- التناقض الاقتصادي لا وجود له بالفعل إلا في بقية التناقضات، ألا وجود له إلا في آثاره.
- ضرورة تجديد العدو الطبقي تحديد طبقة التحالف مع التمييز بين التناقض الرئيسي والثانوي.
- الحز الثوري هو القائد في مواجهة الطبقة المسيطرة.

فهو يرى أن الحل الوحيد للحل هذه الأزمة هو : السير على طريق التحرر الوطني الذي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إجراء تحولات اجتماعية عميقة تزيح عن السلطة تلك الطبقة أو الطبقات المسؤولة عن الأزمة والعاجزة عن حلها.ووجد ايضا أن الثقافة بما تحماه من معنى التغيير بامكانها أن تزرع روح الثورة " أما المثقفون، فهم المنتجون، بأيديهم وأدمغتهم، ضد أنظمة القمع والاستغلال والجهالة، فكراٍ، فنا وجمالا هو حب للحياة. وأما غير المنتجين، القابعين في قبحهم، فهم الأسياد بأنظمتهم. وأما هدم الأنظمة، فهو مهمة الثورة في كل آن(مهدي عامل،2011 ، الثقافة والثورة،2011ص42. كما أن "مهدي عامل "يعتبر الثورة تستكمل سيرورتها، بحسب منطقها الضروري في تقويض علاقات الإنتاج الرأسمالية القائمة بارتباطها التبعي بالإمبريالية، وفي إقامة السلطة السياسية الثورية القادرة على انجاز هذه المهمة.

بين منطق الثورة ومنطق هذه القيادة غير الثورية تناقض يشل الحركة الثورية ويضعها في أزمة تنعكس في ممارسات سلطوية قمعية ضد قوى الثورة وجماهيرها، وبالتحديد، ضد الطبقة العاملة التي هي، بحزبها الطليعي ونهجها الوطني الصحيح، النقيض الثوري. إن الحل الجذري لتلك التناقضات بات يفرض، بضرورة منطقه، ضرورة تغيير تلك القيادة الطبقية لسيرورة الثورة الوطنية الديمقراطية، واستنهاض حركة ثورية هي، في اتساقها مع مهماتها، من نوع جديد، ولها وحدها القيادة." ومن أولى خصائصها، أن تسعى فيها الطبقة الهيمنية النقيض إلى أن يكون نهجها الطبقي نفسه، في سعيها إلى السلطة، نهج الحركة بكاملها. لا بالقمع، بالممارسة

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الديمقراطية الثورية (ابحاث يسارية واشتراكية وشيوعية اطلع عليه من موقع: بتاريخ2018/05/17علىالساعة14: 10 http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp")

الخاتمة:

توصلنا من خلال ورقتنا البحثية الى معرفة مكنون فكر الفيلسوف الثوري مهدي عامل والطريقة التي سبر غورها الى المجتمع اللبناني خصزصا والعربي عموما فحلّل هذا المفكر الفذ فعلا الاوضاع الخاصة بالمجتمعات العربية و وعبر المسار التحرري، توصّل إلى صياغة العديد من مفاهيمه ومقولاته المختلفة والمتخالفة مع، الثوابت الفكرية في الحركة الشيوعية العربية، ولكنه إذ يصل إلى صياغة مفهوم ما، أو قناعة معرفية محددة يندفع إلى حد الافتراض أن هذه الصفات هي وحدها الصحيحة فيدافع عنها بمنطق متماسك جدا، صارم جدّا، وممعن جدا في تشدده، فكتب عن "نمط الإنتاج الكولونيالي" الذي يعيد إنتاج أنظمة تعترف بمصالح الكون كله ولا تعترف بمصالح شعوبها، وعن "أزمة الحضارة العربية"، التي هي من أزمة أنظمة مستقرة ألغت معنى الأزمة ووطّدت الركود. ان أزمة الحضارة العربية تتمثل في معاناتها حسبه من أزمة تطور , أي عدم قدرتها على الوصول الى ما وصلت اليه الحضارة الانسانية من تقدم , ويعزوا ذلك الى سيطرة الافكار البرجوازية التي لم تتمكن من فهم الواقع , إذ أنّه يرى أنّ يعاني من علّة حضارية وليست اجتماعية تاريخية , فهم يتحدثون حول التخلف (السياسي , الفكري, الديني ,الاخلاقي) ويحاولون قراءة (الحاضر) في الماضي , بدلا من أن يقرؤونه في ذاته , أي في علاقة القطع التي تربطه بالماضي , كما توصلنا مع مهدي عامل الى معرفة أن الحاضر هو الذي يمتلك مفتاح الماضي وليس العكس مستندا في ذلك الى ماجاء به ماركس ويذكر قول ماركس (أن حركة التاريخ ليست وتتابعا , بل هي حركه تقطع تترابط فيها انماط الانتاج في قفزاتها البنيويه من نمط الى آخر اي بمعنى آخر لايمكن قراءة نمط الانتاج الراسمالي مثلا في بنية نمط الانتاج الاقطاعي.

ويمكن القول أن علاقات الانتاج الرأسمالية في البلدان العربية بدأت مع التغلغل الامبريالي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وظهر لا حقاً الفكر الوضعي بل التجريبي ونظرته في سير الحضارة العربية , الماضي والحاضر , التخلف والتقدم , فعندهم حركة التاريخ حركة خطية مستمرة واحدة في سيرها الصاعد , أي علينا أن نقيس تطور حضارتنا على ما توصلت الحضارة بشكل عام من تطور في البلدان الاخرى , ويكون بذلك مقياس الحضارة مقياساً كمياً . ان وضع التطور الامبريالي للبرجوازية يساعد البرجوازية المسيطرة في مجتمعاتنا العربية على إظهار أيديولوجيتها بمظهر مقبول , أي بمظهر علمي عقلاني , وبذلك تختفي علاقة التبعية البنيوية

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

التي تربط البنية الاجتماعية العربية من حيث هي بنية كولونيالية . وفي الاخير ما يمكن قوله هو أنّ فكر الفيلسوف مهدي يتعارض كليا مع التفسيرات التي ترى أنّ أزمة الحضارة العربية هي أزمة عامة. حيث يعتمد في ابحاثه على المنهج الماركسي فهو يرى ان الازمة لدينا ليست حضارية عامة بل خاصة أي تتعلق بالطبقة المسيطرة وهي ترتبط بأزمة تطور البنيات الاجتماعية التي ترتبط بأبعاد اقتصادية وسياسية وايديولوجية وخصوصا علاقات الانتاج على اعتبارها انها القاعدة المادية الاساسية للبنية الاجتماعية الى جانب نمط الانتاج المسيطر الذي تنتمي له البنية الاجتماعية

قائمة المصادر والمراجع:

- مهدي عامل ،أزمة الحضارة العربية أو أزمة البرجوازيات،العربية،دار الفارابي بيروت لبنان،دط، ص1989.

-مهدي عامل مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني ، ط1980،3.

-مهدي عامل ،مدخل الى نقض الفكر الطائفي، دار الفارابي للنشر بيروت لبنان ،ط1980،1 .

مهدي عامل ، الثقافة والثورة، دار الفارابي للنشر والتوزيع ط3، 2011-

الموقع الالكتروني

-ابحاث يسارية واشتراكية وشيوعية اطلع عليه من موقع: بتاريخ 2018/05/17على الساعة 10 :http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp14

https://hadfnews.ps/post/73710/%D النظرية والممارسة في فكر مهدي عامل اطلع عليه عبرالموقع الإثنين 19 أكتوبر 2020 | 02:23